

**التفسير بين مدرستي الأثر والرأي
الطبري و الرازي أنموذجا
دراسة نظرية تطبيقية**

✍ إعداد الدكتور
عبد الله بن حمد المنصور
أستاذ القرآن الكريم وعلومه المساعد
كلية العلوم والدراسات الإنسانية برماح
جامعة الجمعة
المملكة العربية السعودية

التفسير بين مدرستي الأثر والرأي الطبري و الرازي أنموذجا دراسة نظرية تطبيقية

عبد الله بن حمد المنصور

قسم القرآن الكريم وعلومه - قسم الدراسات الإسلامية - كلية العلوم والدراسات
الإنسانية برماح - جامعة المجمعة - المملكة العربية السعودية
البريد الإلكتروني: ah.almansor@mu.edu.sa

المخلص البحث:

القرآن الكريم هو ينبوع الذي لا ينضب معينه، وهو أصل الأصول ومنه تستمد جميع العلوم والمعارف، وهو الملاذ الآمن للنفس من رهق الحياة، والشفاء من كل داء، تجد فيه البشرية جميع أنواع العلاج لأمراضها العضوية والنفسية، ولهذا لا تتوقف البحوث والدراسات تنقيهاً واستنباطاً واستخراجاً لمكنون هذا الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وفي ظل تعدد مدارس التفسير وتنوعها، وفي وجود التنازع بين مدرستي المأثور والرأي، تأتي هذه الدراسة بعنوان: التفسير بين مدرستين: الطبري و الرازي أنموذجا، تناولت فيه شخصية الطبري والرازي باعتبار أن الطبري يمثل مدرسة الأثر والرازي مدرسة الرأي، صدرتها بمدخل عام، ومصادر الطبري في التفسير، ومنهجه في التفسير بالمأثور، وأسباب النزول، والقراءات، والإسرائيليات، والعقيدة، وموقفه من التفسير بالرأي، ثم المباحث اللغوية، والفقهية عند الطبري، وقابلت ذلك عند الرازي، ثم عقدت المقارنة بين المدرستين وخلصت فيها إلى أبرز ما يميز كل إمام في مدرسته من جميع النواحي الفنية والمنهجية وذيلت البحث بالخاتمة التي اجملت فيها نتائج البحث التي من أبرزها:

- على عكس السائد بين الباحثين، لم يكن الطبري مهماً للرأي، ولم يكن الرازي هاجراً للأثر.
- نقل الفخر الرازي عن الإمام الطبري اختياراته، ونقل عنه كذلك تضعيفه لبعض الأحاديث، كما رد أقوال الإمام الطبري أحياناً أخرى.
- الشخصية العلمية للإمام الطبري سلكت بالمأثور مسلماً نقدياً تمحيصياً كان ينتهي غالباً بترجيحه واختياره لما يراه صواباً.

- للرازي جهد كبير حول أسباب النزول، وذلك من جهة كثرة الروايات عنده، وكلامه على الجمع بين المختلف منها، ومناقشته لمن يضعف هذه الروايات بالرأي والعقل.
كلمات مفتاحية: التفسير - المأثور - الرأي - منهج - الطبري - الرازي.

Interpretation between the schools of impact and opinion

Al-Tabari and Al-Razi as a model - An applied theory study

Abdullah bin Hamad Al-Mansour

Department of the Holy Quran and its Sciences - Department of Islamic Studies - College of Science and Human Studies in Ramah - Majmaah University - Kingdom of Saudi Arabia

Email: ah.almansor@mu.edu.sa

Abstract:

The Holy Quran is the inexhaustible fountain, which is the origin of origins, and all sciences and knowledge are derived from it. It is the soul's sanctuary of life's hardships, and healing from every disease. Humanity finds in it all kinds of treatments to its organic and psychological diseases. Therefore, researches and studies are constantly looking to extract the treasures out of this holy book which is no falsehood can approach it from before or behind it: it is sent down by one full wisdom, worthy of praise.

The title of this study is (The interpretation between two schools: Tabari and Razi Model).

This study tackles with Tabari and Razi character, as the first represents the traditional school, and the second represents the opinion school.

The study begins with general introduction and sources of Tabari in interpretation, his interpretation with Muthur(a saying, ruling or tradition of the prophet's companions and their students) ,reasons of sending Quran, readings, Israelis and the doctrine. Then the study introduced his position about

interpretation with opinion, followed by the Tabari linguistic and Fiqhi (jurisprudence) chapters then converged that against Razi.

The study compared between both schools and concluded with the most distinctive features for each Imam in his school in all technical and methodological aspects.

The research arrives at the following findings and results:

In contrary with the prevailing notion between researchers ,neither Tabari neglected opinion, nor Razi abandoned ALmuthur (tradition)

Alfakhr Alrazi quoted Alimam Altbari's choices, and also quoted his weakening of some of the Ahadeeth .Sometimes he rejects Alimam Altbari sayings.

The scientific Imam Altbari's personality has taken Muthur into a critical approach that mostly ends with what he thinks is right.

Razi has great efforts on reasons of sending Quran, and that relates to his numerous narrations and sayings about combining the differences. Besides his opinion and logical discussion with those who weakens these narrations.

Keywords: Tafsir (interpretation)- ALmuthur (a saying,ruling or tradition of the prophets Companions &their students)- Opinion- Method – Altbari – Alrazi.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد :
فهذا بحث بعنوان: (التفسير بين مدرستين، الطبري و الرازي أنموذجاً) أردت به بيان أهم النقاط البارزة في منهج هذين العلمين في التفسير، واللذان يمثلان القمة بين مدرسة الأثر ومدرسة الرأي، مع عقد مقارنة بين منهجيهما لتوضيح نقاط الاختلاف والتشابه بينهما.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

- بيان الفرق بين مدرسة الأثر والرأي، ممثلة في أشهر من يمثلهما: الطبري والرازي.
- إظهار الحكم والفوائد في اختلاف هذه المدارس وتنوعها.
- إبراز التراث الإسلامي في أبرز علومه: تفسير القرآن الكريم.
- نتائج مهمة ظهرت للباحث ذكرتها في الختام.

أهداف الموضوع:

تهدف هذه الدراسة إلى:

- بيان حاجة العلماء والباحثين إلى معرفة مدارس التفسير.
- دراسة طريقة أشهر مدرستين من مدارس التفسير.
- التعريف بعلمين من أعلام التفسير.
- التعرف بمواطن الاتفاق والاختلاف بين المدرستين.
- المقارنة بين المدرستين.

مشكلة البحث:

يعالج هذا البحث قضية الاختلافات بين مدرستي الأثر والرأي في التفسير من خلال الأسئلة التالية:

- ما الفائدة من دراسة هاتين المدرستين؟

- ما المقصود بمدرستي الأثر والرأي، ومن يمثلهما؟
- ما العلاقة بين المدرستين اتفاقاً واختلافاً؟
- ما مدى اتفاق الإمامين منهجاً وعقيدةً وأسوباً في التفسير؟

منهج البحث:

اعتمدت في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وقد حرصت في ثنايا البحث على اتباع المنهجية المطلوبة في مثل هذه البحوث من حيث عزو الآيات، وتخريج الأحاديث، مع الحرص عند نقل الأقوال على عزوها لأصحابها، وضرب الأمثلة التطبيقية التي تؤيد الجانب النظري، ثم عرّفت بمصادر البحث مع ما يلزم من الفهارس.

الدراسات السابقة :

من خلال اطلاعي وتتبّع ما كُتب في هذا الموضوع؛ لم أقف على بحث كتب بهذا العنوان، لكن هناك بعض الموضوعات التي كتبت في مدارس التفسير مثل:

- التفسير والمفسرون، لمحمد حسين الذهبي، وهو كتاب مفيد جداً في التعريف بعلم التفسير والمفسرين، وقد استفدت منه، إلا أنه لم يتوسع في ضرب الأمثلة التطبيقية كما فعلت، ويكفي أن نعلم أنه عقد للتعريف بالرازي وتفسيره سبع صفحات، أربع منها في التعريف بالمؤلف وهل أكمل تفسيره أم لم يكمله، ولم يذكر في الصفحات الثلاث الأخرى أمثلة تطبيقية لما كان يذكره من طريقة سلكها المؤلف في تفسيره.
- مذاهب التفسير الإسلامي، للمستشرق جولد تسهر، وهو كتاب مليء بالأفكار المغلوطة عن القرآن الكريم وعلم التفسير، ويكفي من ذلك قوله عن القرآن في أول صفحة من كتابه: (لا يوجد كتاب تشريعي ... يقدم نصه... من الاضطراب وعدم الثبات كما نجد في نص القرآن). ولذلك فقد اطلعت على هذا المرجع محاولاً البحث عن ما يفيدني في بحثي فلم أعث على شيء ذو بال سوى قذف التهم على الإمام الطبري.
- كتب وبحوث مخصصة للحديث عن منهج الطبري أو الرازي في التفسير، وقد نقلت عن بعضها، وكل ذلك مذكور في هوامش البحث وفهارسه.

غير أنني لم أقف على موضوع يماثل عنوان البحث، بحيث تتم المقارنة حول المسائل التي أوردتها عن الكلام على منهج كل مفسر على حدة، ثم تخصيص فصل للحديث عن مقارنات علمية بين المفسرين.

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة. المقدمة تشمل: أهمية البحث وأسباب الاختيار، وأهدافه، ومشكلة البحث، ومنهج البحث، والدراسات السابقة.

الفصل الأول: منهج الإمام الطبري في التفسير وفيه عشرة مباحث:

المبحث الأول: مدخل عام.

المبحث الثاني: مصادر الطبري في التفسير.

المبحث الثالث: منهج الطبري في التفسير بالمأثور.

المبحث الرابع: أسباب النزول عند الطبري.

المبحث الخامس: الطبري والقراءات.

المبحث السادس: الطبري والإسرائيليات.

المبحث السابع: مباحث العقيدة في تفسير الطبري.

المبحث الثامن: موقف الطبري من التفسير بالرأي.

المبحث التاسع: المباحث اللغوية في تفسير الطبري.

المبحث العاشر: المباحث الفقهية عند الطبري.

الفصل الثاني: منهج الإمام الرازي في التفسير وفيه عشرة مباحث:

المبحث الأول: مدخل عام.

المبحث الثاني: مصادر الرازي في التفسير.

المبحث الثالث: المأثور والرازي.

المبحث الرابع: أسباب النزول عند الرازي.

المبحث الخامس: القراءات عند الرازي.

المبحث السادس: الإسرائيليات عند الرازي.

المبحث السابع: الرازي ومسائل الاعتقاد في تفسيره.

المبحث الثامن: المباحث اللغوية عند الرازي.

المبحث التاسع: الفقه في تفسير الرازي.

المبحث العاشر: متفرقات حول تفسير الرازي.
الفصل الثالث: المقارنة بين منهجي الطبري والرازي.
الخاتمة: تشمل أهم النتائج والتوصيات.

أسأل الله تعالى التوفيق والسداد في بحثي هذا ، وأحمد لله رب العالمين ،
وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

الفصل الأول منهج الإمام الطبري في التفسير

المبحث الأول : مدخل عام (١) :

١. عاش الإمام الطبري (٢٢٤ - ٣١٠ هـ) جميع مراحل حياته في ظل الخلافة العباسية ، حيث ولد رحمه الله تعالى في مدينة آمل عاصمة إقليم طبرستان وأكبر مدينة فيه ، وتتبع حالياً جمهورية إيران .
٢. حفظ الإمام الطبري القرآن وهو ابن سبع سنين ، وصلى بالناس إماماً وهو ابن ثمان سنين ، وكتب الحديث وهو في التاسعة من عمره .
٣. نقل عن الإمام الطبري قوله : رأى لي أبي في النوم أنني بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان معي مخللة مملوءة حجارة وأنا أرمي بين يديه ، فقال له المعبر : إنه إن كبر نصح في دينه ، وذبح عن شريعته ، فحرص أبي على معونتي على طلب العلم ، وأنا حينئذ صبي صغير (٢) .
٤. عاش الإمام الطبري أعزباً ولم يتزوج لاشتغاله رحمه الله بالعلم ، مما ساعده على التفرغ للعلم ، قال مسلمة بن قاسم في وصف الإمام الطبري : كان حَصُوراً لايعرف النساء ، شغله طلب العلم وهو ابن اثنتي عشرة سنة ، ولم يزل طالباً للعلم مولعاً به إلى أن مات .
٥. بدأت رحلات الإمام الطبري في طلب العلم سنة ٢٦٣ هـ وعمره ١٢ سنة، فتنقل بين مدن طبرستان والري وبغداد والبصرة وواسط والكوفة والشام ومصر ، ودرس في هذه الرحلات مذهب الإمام الشافعي و مذهب الإمام مالك ، والفقهاء الظاهري أيضاً .

(١) انظر: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين ٣٤٢-٣٨٠ ، و : الإمام الطبري ، شيخ المفسرين

٢٧-٤٥ ، ومقال : الإمام الطبري ومنهجه في تفسير كتاب الله .

(٢) معجم الأدباء ٤٩/١٨

٦. ألف الإمام الطبري تفسيره بعد ماتقدم به العمر ، وقد قارب الستين من عمره ، وبعدما حقق المؤهلات الأساسية الضرورية للتفسير .
٧. قبل أن يشرع الإمام الطبري في كتابة التفسير ، استخار الله تعالى في ذلك ، حيث يقول الإمام الطبري نفسه عن ذلك : استخرت الله تعالى في عمل كتاب التفسير ، وسألته العون على مانويته ثلاث سنين قبل أن أعمله ، فأعاني (١).
٨. أطلق الإمام الطبري على تفسيره : (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ، وهو يقصد هذا الاسم ، لأنه دال على طبيعة تفسيره ومنهجه فيه ، وهدفه منه .
٩. شرع الإمام الطبري في كتابة تفسيره سنة : ٢٨٣هـ وكان عمره حوالي ستين عاماً ، وألفه في ثماني سنوات ، حيث أتمه في سنة ٢٩٠هـ ، ثم شرع في تأليف كتب أخرى ، ثم أعاد تلاميذه قراءة التفسير عليه بعد ذلك ، ولذلك نجد في أول التفسير مايلي : (بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه ثقتي ، وعليه اعتمادي ، رب يسر : قريء على أبي جعفر محمد بن جرير الطبري في سنة ست وثلاثمائة) ، وبذلك يكون عمره عند إعادة قراءة التفسير : اثنتين وثمانين سنة ، وهذا من الهمة العالية ، فرحمه الله تعالى .
١٠. كان التفسير عند الإمام الطبري في نحو ثلاثين ألف ورقة ، فقال له تلاميذه عندما أراد أن يمليه عليهم : هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه ، فقال الإمام الطبري : إنا لله ، ماتت الهمم ، فاختصر ذلك في نحو ثلاثة آلاف ورقة .
١١. قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (تفسير محمد بن جرير من أجل التفاسير وأعظمها قدراً) ، وقال في موضع آخر أيضاً : (وأما التفاسير التي في أيدي الناس ، فأصحها تفسير محمد بن جرير الطبري ، فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة ، وليس فيه بدعة ، ولا ينقل عن المتهمين كمقاتل والكلبي) (٢) .

(١) معجم الأدباء ٦٢/١٨

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٦١/١٣ و ٣٨٥/١٣ .

المبحث الثاني : مصادر الطبري في التفسير :

تتوعدت المصادر التي اعتمد عليها الإمام الطبري في تفسيره ، ومن أهم هذه المصادر مايلي (١):

١. صحف التفسير التي نقلت عن بعض الصحابة ، وعلى رأسهم الحبر ابن عباس ، وأبي بن كعب ، وعبد الله بن مسعود ، وغيرهم رضي الله تعالى عنهم جميعاً .
٢. تفاسير التابعين المشهورة ، مثل : مجاهد ، وقتادة ، وسعيد بن جببر ، وعكرمة ، وعطاء ، وأبو العالية ، والحسن البصري ، وزيد ابن أسلم ، وإسماعيل السدي ، وغيرهم .
٣. تفاسير أتباع التابعين المشهورة ، مثل : عبد الملك بن جريج ، ووكيع بن الجراح ، ومقاتل بن حيان ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وعبد الرزاق الصنعاني ، وسفيان الثوري ، ويحيى بن اليمان ، وغيرهم .
٤. أعلام اللغة المشهورين ، ومنهم : أبو عبيدة معمر بن المثنى ، ويحيى بن زياد الفراء ، وأبو الحسن سعيد بن مسعدة المشهور بالأخفش الأوسط ، وأبو علي محمد بن المستنير المشهور بقطرب ، وعلي بن حمزة الكسائي ، وغيرهم .
٥. لم يدخل الطبري في تفسيره شيئاً عن محمد بن السائب الكلبي ، ولماقاتل بن سليمان ، ولا محمد بن عمر الواقدي ، لاتهمهم في الرواية .
٦. ألف الإمام الطبري أكثر من كتاب في مسائل الاعتقاد على مذهب أهل السنة والجماعة ، وقد ظهر ذلك جلياً في تفسيره للآيات التي فيها إشارة لمسائل التوحيد والعقيدة .

(١) انظر : تعريف الدارسين بمنهج المفسرين ٣٥٨-٣٥٩ ، والإمام الطبري، شيخ المفسرين ١٠٢-١٠٤ ، وما كتبه فضيلة الدكتور : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، محقق الطبعة الجديدة لتفسير الإمام الطبري ١/٥٦-٥٧ في بيان مصادر الإمام الطبري في التفسير .

٧. عرف عن الإمام الطبري أنه صنف كتاباً كبيراً في القراءات ، فلا غرو أن يكون من مصادره في تفسيره الكبير .
٨. الأسانيد الخاصة بالإمام الطبري كانت من أهم مصادره ، فمن المعلوم أن الإمام الطبري كان من أعلام أهل الحديث ، لذا نجد مروياته في كتابه عن العديد من الشيوخ الذين لقبهم في رحلاته التي سبق الإشارة إليها .
٩. درس الإمام الطبري عدداً من المذاهب الفقهية كما ذكرنا آنفاً ، وكان رحمه الله يبيث اختياراته الفقهية في ثنايا تفسيره لآيات الأحكام .

المبحث الثالث : منهج الطبري في التفسير بالمأثور :

ليس من السهل تبين منهج الإمام الطبري في تفسيره بالتفصيل ، ولكن سوف أشير إلى أهم الملامح المهمة والرئيسة التي تميز بها هذا التفسير ، والتي جعلته يتبوء هذه المنزلة الرفيعة بين التفاسير منذ أن أملاه مصنفه وإلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها والعلم عند الله تعالى .

وعندما يذكر (جامع البيان) للإمام الطبري يقفز إلى الذهن : المنهج الأثري الذي تميز به هذا التفسير ، وكان ولازال أهم المصادر التي حفظت لنا الآثار السلفية في جانب التفسير ، بحيث غاب عن أذهان الكثيرين أن الإمام الطبري كان ذا شخصية قوية وبارزة في الإدلاء برأيه في كثير من المواطن في ثنايا تفسيره .

وهذه الشخصية العلمية سلكت بالمأثور مسلكاً نقدياً تمحيصياً كان ينتهي غالباً بترجيح الإمام الطبري واختياره لما يراه صواباً ، وكل ذلك كان بالحجة والدليل ، مما نفى عن الإمام الطبري صفة الناقل والمدون للمأثور فقط ، ولذلك أشار السيوطي إلى أن الطبري جمع في تفسيره بين الرواية والدراية ، ولعل ذلك أيضاً هو ما حمله عندما كان يتكلم عن مناهج المفسرين أن قال عندما سئل أي التفاسير ترشد إليه، وتأمّر الناظر أن يعول عليه ؟ قال : تفسير

الإمام أبي جعفر بن جرير الطبري ، الذي أجمع العلماء المعتبرون على أنه لم يؤلف في التفسير مثله (١).

* ويتضح المنهج الأثري للطبري في النقاط التالية :

أولاً : تفسير القرآن بالقرآن :

لا يحتاج المتأمل لكثير جهد حتى يستظهر هذا المنهج عند الإمام الطبري في تفسيره ، فأدنى تقليب لصفحات هذا السفر الجليل تظهر للمطالع أن إمامنا ممن اعتنى بهذا الجانب أيما اعتناء ، والأمثلة على ذلك لا تكاد تحصر ، وأكتفي بإيراد هذين المثالين :

المثال الأول : ما أورده الإمام الطبري في تفسيره عند قوله تعالى : {مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا} (سورة النساء . ١٣٤)

حيث يقول : (فمعنى الآية : من كان من العاملين في الدنيا من المنافقين يريد بعمله ثواب الدنيا وجزاءها من عمله ، فإن الله مجازيه بها جزاءه في الدنيا من الدنيا ، وجزاءه في الآخرة من العقاب والنكال ، وذلك أن الله قادر على ذلك كله وهو مالك جميعه كما قال في الآية الأخرى : {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسُونَ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (سورة هود (١٥-١٦) (٢).

المثال الثاني : ما أورده الإمام الطبري في تفسيره عند قوله تعالى : {وَيَبَيِّنُهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ} (سورة الأعراف .

حيث يقول الإمام الطبري : (يعني جل ثناؤه بقوله وبينهما حجاب : وبين الجنة والنار حجاب ، يقول : حاجز ، وهو السور الذي ذكره الله تعالى

(١) انظر في كلام السيوطي : طبقات المفسرين ٩٦-٩٧ ، والإتقان ١٢٣٧/٢ .

(٢) جامع البيان للطبري ٥٨٣/٧ .

فقال: { فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ } (١٣) سورة الحديد ، وهو الأعراف التي يقول الله جل ثناؤه فيها { وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ (٤٦) } (١) .

وقد ينقل الإمام الطبري تفسير القرآن بالقرآن عن غيره ، كما نقل في تفسير قول الله تعالى : { أَفَغَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ } (٨٣) سورة آل عمران ، نقل عن مجاهد رحمه الله تعالى ، حيث قال الإمام الطبري :

(حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن مجاهد : (وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا) قال : هو كقوله : (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) (٣٨) الزمر) (٢) .

ثانياً : تفسير القرآن بالسنة :

وهذا الجانب أيضاً من الجوانب الظاهرة بجلاء في تفسير الإمام الطبري ، وسأكتفي بإيراد مثالين على ذلك :

المثال الأول : الحديث الذي أورده الإمام الطبري في تفسير قوله تعالى : { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا } (١٢٦) سورة البقرة ، حيث يقول : (حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس ابن بكير عن محمد بن إسحاق قال حدثني سعيد بن أبي سعيد المقبري قال سمعت أبا شريح الخزاعي يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما افتتح مكة قتلت خزاعة رجلاً من هذيل ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً فقال : (يا أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام بحرام الله إلى يوم القيامة ، لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دمًا أو يعضد بها شجراً ، وإنها لا تحل لأحد بعدي ، لا تحل لي إلا هذه الساعة غضباً على أهلها ، ألا فهي قد رجعت

(١) جامع البيان للطبري ٢٠٨/١٠ .

(٢) جامع البيان للطبري ٥٤٩/٥ .

على حالها بالأمس ، ألا ليبلغ الشاهد الغائب ، فمن قال إن رسول الله قد قتلَ بها فقولوا إن الله قد أحلها لرسوله ولم يحلها لك(١).

المثال الثاني : أورد الإمام الطبري حديثاً في تفسير قوله تعالى : {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا } (١٤٣) سورة البقرة ، حيث يقول :
(حدثنا سلم بن جنادة ويعقوب بن إبراهيم قالوا ثنا حفص بن غياث عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) قال : (عدلاً) .
حدثنا مجاهد بن موسى ومحمد بن بشار قالوا ثنا جعفر بن عون عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله (٢) .

غير أنه ينبغي أن يعلم أن الإمام الطبري كان يترك بعض الأحاديث دون الكلام على إسنادها ، ومن ذلك الحديث الذي أورده الإمام الطبري في تفسيره عند قوله تعالى : {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} (١٢٤) سورة طه .

حيث يقول : (قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال هو عذاب القبر ، للذي حدثنا به أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال ثنا عمي عبد الله بن وهب قال أخبرني عمرو بن الحارث عن دراج عن ابن حجيرة عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (أتدرون فيم أنزلت هذه الآية (فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) ، أتدرون ما المعيشة الضنك ، قالوا الله ورسوله أعلم ، قال عذاب الكافر في قبره والذي نفسي بيده إنه يسلط عليه تسعة وتسعون تتيماً ، أتدرون ما التنين ؟ تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة رؤوس ينفخون في جسمه ويلسعونه ويخدشونه إلى يوم القيامة) .

(١) جامع البيان للطبري ٢ / ٥٣٨-٥٣٩ ، وقد أخرج الحديث البخاري ١٠٤ ، ومسلم . ١٦٥٤ .

(٢) جامع البيان للطبري ٢ / ٦٢٧ ، وقد أخرج الحديث الترمذي ١٩١ .

ولم يعقب الإمام الطبري على هذه الرواية بشيء ، بينما نجد ابن كثير رحمه الله تعالى يقول عن هذا الحديث : (رفعه منكر جداً) (١) .
في حين أنه كان ينقد الروايات الضعيفة أحياناً ، ومن ذلك ما أورده الإمام الطبري في تفسيره عند قوله تعالى : {إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَأَخْلَعُ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى} (١٢) سورة طه ، حيث يقول : (لو كان الخبر الذي حدثنا به بشر قال ثنا خلف بن خليفة عن حميد عن عبد الله بن الحارث عن ابن مسعود عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : (يوم كلم الله موسى كانت عليه جبة صوف وكساء صوف وسراويل صوف ونعلان من جلد حمار غير ذكي) صحيحاً لم نَعُدْهُ إلى غيره ، ولكن في إسناده نظراً يجب التثبت فيه) (٢) .

تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين :

من أعظم مصادر تفاسير الصحابة والتابعين (جامع البيان) للإمام الطبري ، والكتاب كله مليء بتفاسيرهم .
ولست أجدني في حاجة للتدليل على ذلك ، ولكن المطالع لهذا التفسير العظيم يلحظ تفاوت المروي عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في التفسير ، فالمرويات عن ابن عباس ليست في عدد المرويات عن ابن مسعود ، والمرويات عن ابن مسعود ليست كالمرويات عن أبي بن كعب ، وهذا ليس خاصاً بتفسير الإمام الطبري وحده ، وإنما هي ظاهرة عامة على كتب التفسير بالمأثور .

يبلغ المروي عن ابن عباس في تفسير الإمام الطبري : ٥٨٠٩ قولاً .
ويبلغ المروي عن ابن مسعود في تفسير الإمام الطبري : ٨٥٦ قولاً .
ونفس الكلام يقال على تفاسير التابعين :
فالمرويات عن مجاهد تبلغ : ٦١٠٩ قولاً .

(١) انظر : جامع البيان للطبري ١٦/١٩٨-١٩٩ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥/٢٣٠٠ .
وقد أخرج الحديث أبو يعلى ٦٦٤٤ .
(٢) جامع البيان للطبري ١٦/٢٥ ، وقد أخرج الحديث الترمذي ١٧٣٤ .

- والمرويات عن قتادة تبلغ : ٥٣٧٩ قولاً .
والمرويات عن السدي تبلغ : ١٦٨٢ قولاً .
والمرويات عن الحسن البصري تبلغ : ١٤٨٧ قولاً .
والمرويات عن سعيد بن جبير تبلغ : ١٠١٠ قولاً .
والمرويات عن عكرمة تبلغ : ٩٤٣ قولاً ، وهكذا (١).
المبحث الرابع : أسباب النزول عند الطبري :

المرويات الواردة عند الطبري في بيان أسباب النزول كثيرة ، إلا أن الإمام الطبري كان يخضع هذه المرويات للدراسة أحياناً ، سواءً بالقبول أو الرد ، وقد جعل ضَعْفَ بعض الروايات مرجحاً للصحيح ، ومن الأمثلة على ذلك مايلي :

أولاً :

ما أورده الإمام الطبري في تفسيره عند قوله تعالى : {قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَيَّ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِّلْمُؤْمِنِينَ ، مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ} (٩٧ - ٩٨) سورة البقرة .

حيث يقول : (أجمع أهل العلم بالتأويل جميعاً على أن هذه الآية نزلت جواباً لليهود من بني إسرائيل إذ زعموا أن جبريل عدو لهم وأن ميكائيل ولي لهم) (٢) .

ثانياً :

عندما أورد الإمام الطبري المرويات في نزول قوله تعالى : { أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا } (٣) سورة المائدة ، أعقبها بقوله : (وأولى الأقوال في وقت نزول الآية القول الذي روي عن عمر بن الخطاب أنها نزلت يوم عرفة يوم الجمعة لصحة سنده ووهي أسانيد غيره) (٣) .

(١) تفسير التابعين ٧٥/١ .

(٢) جامع البيان للطبري ٢٨٣/٢ .

(٣) جامع البيان للطبري ٩١/٨ .

المبحث الخامس : الطبري والقراءات :

قد ذكرت فيما سبق أن الإمام الطبري صنف كتاباً في القراءات ، وكثير من الناس يحاكم الإمام الطبري في منهجه في القراءات على ماورد في تفسيره من رد بعض القراءات أو توهينها ، وقد ظل هذا الأمر مثار إشكال عندي كما كان عند غيري ، وقد قرأت عدداً من الكتب والبحوث التي درست هذه النقطة المهمة عند الإمام الطبري ، ومن أحسن ماوقفت عليه في ذلك هذا المبحث الذي سأقتطف منه بعض المقاطع المهمة والرئيسة فيه ، وسأسعى لأن تكون مقاطعاً معبرة عن مضمون البحث كاملاً .

يقول الدكتور محمد بن علي الحسن ، أستاذ علوم القرآن في كلية الدراسات العربية والإسلامية في دبي ، في بحث له عن تضعيف المفسرين للقراءات الصحيحة وردّها : (كنت مترئناً في إصدار حكم طعن ابن جرير في القراءات ، بل كنت متهيئاً في ذلك ، وقلت في نفسي وهل من هو مثلي ينقد إماماً من الأئمة ، وعلماً من أعلام التفسير مثل ابن جرير الطبري الذي ذاع وشاع صيته في الآفاق في علوم التفسير وعلم القراءات بالذات ، ومما ساهم في حيرتي موقف العلماء المعاصرين ، وأخص أستاذنا المرحوم محمد حسين الذهبي في كتابه (التفسير والمفسرون) وبقيت هذه النظرية أو النظرة عن الطبري كذلك ولم يتناولها أحد بالتعليق.

وكما ساهم أستاذي في حيرتي ساهم كذلك تلميذي الذي أشرفت عليه في رسالة الماجستير (القراءات القرآنية) .. وقد ذهب الطالب إلى اعتبار ابن جرير من المرجحين ، ونوقشت الرسالة من اللجنة العلمية المختصة في علم القراءات وأقرت هذه المعلومة ، بأن ابن جرير من المرجحين . ولكن هذه الحيرة والهيبة بدأت تتبدد وبدأت غيومها تنقشع وبدأت الرؤية تتضح شيئاً فشيئاً لأمر منها :

١ - دفعني الشك في موقف الطبري إلى مواصلة البحث فأشرت إلى طلبتي باستقصاء كتاب الطبري في التفسير ، فوجدت أن الصورة الحقيقية لموقفه هي الطعن وليس الترجيح كما ذهب إليه صاحب الرسالة في القراءات .

٢ - كتابة أحد الباحثين وإصداره كتاباً كاملاً بعنوان (دفاع عن القراءات في مواجهة الطبري المفسر) ، فازداد بذلك موقفه صلابة لوجود من يرى أن الطبري طاعن .

٣ - وثالثة الأثافي كانت في العثور على مخطوطة في علم القراءات للإمام السخاوي ، والمخطوطة في طريقها للطباعة بتحقيق زميلنا في جامعة الإمارات ، وفي هذه المخطوطة تنبيه من السخاوي وتحذير من طعن ابن جرير الطبري في القراءات .

يقول السخاوي (من مخطوطته في القراءات ورقة ١٠٠) : قال لي أبو القاسم الشاطبي : إياك وطعن ابن جرير على ابن عامر ، أما ابن الجزري فقال عن طعن ابن جرير : (وهو أول من نعلمه أنكر هذه القراءة المتواترة وغيرها من القراءات الصحيحة) ، ثم قال : (وركب هذا المحذور ابن جرير وقد عد ذلك من سقطات ابن جرير) .

لقد كان لأقوال هؤلاء الأئمة الأعلام في علم القراءات أكبر الأثر في شد العزم في متابعة ومواصلة البحث
ويتراءى لي أن موقف الطبري من القراءات يمكن تقسيمه إلى ثلاثة أقسام:

أولها : طعنه في القراءات التي لا توافق قواعد لغوية حسب نظره : وهو في موقفه هذا يوافق بعض النحاة في ردهم لبعض القراءات المتواترة، وهناك طائفة من القراءات القرآنية التي ردها ابن جرير وبرر رفضها تبريراً لغوياً ، ونحن إذ نؤيده في رده ورفضه للقراءات الشاذة فإننا نخطئه في رده للقراءات المتواترة والتي قرأ بها القراء السبعة . الثابتة في مصادر ومراجع علم القراءات (وذكر الدكتور عدداً من الأمثلة هنا).

ثانياً : طعنه في القراءات تبعاً لمعنى من المعاني :

لم يقتصر طعن ابن جرير الطبري على القراءات نظراً لتعارضها مع قواعد اللغة حسب نظره . وإنما تعدى طعنه إلى القراءات التي لم توافق المعنى الجدير بالقبول . حسب تأويله . والفرق بين طعنه في الأول وطعنه في الثاني ، أنه يعلل الأول تعليلاً لغوياً ، ويعلل طعنه في الثاني تعليلاً معنوياً (وذكر الدكتور عدداً من الأمثلة هنا).

ثالثًا : موقفه من القراءات المخالفة للرسم القرآني :

لئن كان الطبري مخطئًا في طعنه في القراءات في القسمين الأولين فهو محق ومصيب في رفضه ورده لكل قراءة لا توافق الرسم القرآني (وذكر الدكتور عددًا من الأمثلة هنا).

إن هذا الموقف من مثل ابن جرير موقف عجيب وغريب ، وقد جانب الصواب في الإنكار والطعن والرد للقراءات المتواترة ، ونحن إذ لا نحكم عليه برده للقراءات بأنه رادّ للقرآن ذاته كما قال أحد المفسرين ، فهذا ما لا يتصوره عاقل ، فابن جرير هو إمام المفسرين بلا منازع ، وهو خير مدافع عن القرآن الكريم، ولكن هذه هنة من هناته

.. وقد أصابتنى الحيرة في موقف ابن جرير كما ذكرت وازدادت حيرتي فأخذت أفتش عن حلقة مفقودة في هذا الموضوع : كيف يرد ابن جرير قراءات متواترة ؟ وكيف يرد قراءة ابن عامر وهي متواترة في حين أنني أجد في تفسيره ما يشير إلى إجلاله للقراء ويرى أن إجماعهم على القراءة لا محيد عنه ، ويرى أن قراءتهم هي القراءة وغيرها لا يعتد به لمخالفته قراء الأمصار؟.

وقرأت ثم قرأت لأفتش عن هذه الحقيقة : هل القراءة التي ردها الطبري كانت متواترة في نظره ، ثم قام بعد ذلك بردها فيكون قد ارتكب إثماً محققاً ؟ ، قلت في نفسي ما أظن ذلك بل أعتقد خلاف ذلك ؛ لأنني تتبعت موقف الطبري في القراءات فوجدت إجلالاً لها منه ، فلا يحيد عن الصحيح منها حسب نظره ، لذا جزمتم بأن الطبري لم يحكم بتواترها ثم ردها ، بل هو موقن بضعفها ، وهذا خطأ يمكن أن نحمله مسؤولية التقصير فيه ، وأجلت النظر في تفسيره ، فلم أجد لقولي دليلاً محسوساً ، بل هو استنباط واستنتاج ، ولكنني جزمتم بأن في كتابه المفقود (الجامع في علم القراءات) ما يفيد هذا ، وأن فيه الأسرار الكامنة في موقفه من القراء السبعة أصحاب القراءات المتواترة ، إذ هم متقدمون عليه ، وفيه السر الكامن في طعنه لقراءات ابن عامر بالذات . أقول جزمتم بأن السر كامن في كتابه المفقود لأنني تتبعت تفسيره فلم أجد لهذه الظاهرة تفسيراً ...

وأقذفني الله من حيرة طالتي ووجدت ضالتي المنشودة فيما نقله السخاوي عنه . وما أظن أن ما نقله إلا أنه اطلع على كتاب الطبري (الجامع في القراءات) .. يقول السخاوي في كتابه عن القراءات في الورقة رقم ١٠٠

وأثبت هذا بحروفه وكلماته دون تصرف : (وقد تكلم محمد بن جرير الطبري في قراءة ابن عامر رحمه الله واتبعه الناس على ذلك، ولم يسبقه أحد إلى تصنيف (لعلها تضعيف) قراءة هؤلاء السبعة .

وقد تكلم محمد بن جرير الطبري في قراءة ابن عامر ، رحمه الله، فقال : (وقد زعم بعضهم أن عبد الله بن عامر أخذ قراءته عن المغيرة بن أبي شهاب المخزومي ، وعليه قرأ القرآن ، وأن المغيرة قرأ على عثمان بن عفان) .

وقال : (وهذا غير معروف عن عثمان ، وذلك أننا لا نعلم أحداً ادعى أن عثمان أقرأه القرآن ، بل لا نحفظ عنه من حروف القرآن إلا أحرفاً يسيرة ، ولو كان سبيله في الانتصاب لأخذ القرآن على من قرأه عليه السبيل التي وصفها الراوي عن المغيرة بن أبي شهاب ما ذكرنا ، كان لا شك قد شارك المغيرة في القراءة عليه والحكاية عنه غيره من المسلمين ، إما من أدانيه ، وأهل الخصوص به ، وأما من الأبعاد والأقاصي ، فقد كان له من أقاربه وأدانيه من هو أمسّ رحماً ، وأوجب حقاً من المغيرة ، كأولاده وبني أعمامه ومواليه وعشيرته ، ومن الأبعاد من لا يحصى عدده كثرة .

وفي عدم مدعي ذلك عثمان الدليل الواضح على بطول قول من أضاف قراءة عبد الله بن عامر إلى المغيرة بن أبي شهاب ، ثم إلى أن أخذها المغيرة بن أبي شهاب عن عثمان قراءة عليه) .

قال : (وبعد ، فإن الذي حكى ذلك وقاله رجل مجهول من أهل الشام لا يعرف بالنقل في أهل النقل ، ولا بالقرآن في أهل القرآن ، يقال له عراك بن خالد المري ، ذكر ذلك عنه هشام بن عمار ، وعراك لا يعرفه أهل الآثار ، ولا نعلم أحداً روي عنه غير هشام بن عمار) .

قال : (وحدثني بقراءة عبد الله بن عامر كلها العباس بن الوليد البيروتي، وقال : حدثني عبدالحميد بن بكار ، عن أيوب بن تميم، عن يحيى بن الحارث، عن عبد الله بن عامر اليحصبي أن هذه حروف أهل الشام التي يقرؤونها) .

قال : (فنسب عبد الله بن عامر قراءته إلى أنها حروف أهل الشام في هذه الرواية التي رواها لي العباس بن الوليد ، ولم يضيفها إلى أحد منهم بعينه .

ولعله أراد بقوله: (إنها حروف أهل الشام) أنه قد أخذ ذلك عن جماعة من قرائها ، فقد كان أدرك منهم من الصحابة وقدماء السلف خلقًا كثيرًا . ولو كانت قراءته أخذها . كما ذكرعراك بن خالد . عن يحيى بن الحارث ، عنه عن المغيرة بن أبي شهاب ، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، لم يكن ليتزك بيان ذلك إن شاء الله مع جلالة قدر عثمان ومكانه عند أهل الشام ، ليعرفهم بذلك فضل حروفه على غيرها من حروف القراء).أه .

ثم يتابع السخاوي فيقول : (وهذا قول ظاهر السقوط ، أما قوله : (إنا لا نعلم أحدًا ادّعى أن عثمان أقرأه القرآن) ، فهذا غير صحيح ، فإن أبا عبد الرحمن السلمي . رحمه الله . قرأ على عثمان . رضي الله عنه . وروى أنه علمه القرآن ، وقرأ أيضًا على عثمان . رضي الله عنه . أبو الأسود الدؤلي ، وروى الأعمش عن يحيى بن وثاب عن زرّ بن حبيش الأسدي عن أبي عمرو عثمان بن عفان . رضي الله عنه . وذكر حروفًا من القرآن تكون أربعين حرفًا .

وقال لي شيخنا أبو القاسم الشاطبي . رحمه الله . : (إياك وطعن الطبري على ابن عامر) .

ثم إن هذا لا يلزم ، إذ لا يمتنع أن يكون أقرأ المغيرة وحده ، لرغبة المغيرة في ذلك ، أو لأن عثمان . رضي الله عنه . أراد أن يخصه بذلك . وقد رأينا من العلماء المشهورين من لم يأخذ عنه إلاّ النفر اليسير ، بل منهم من لم يأخذ عنه إلا رجل واحد .

هذا لو انفرد المغيرة بالأخذ عنه ، وقد أخذ عنه أبو عبد الرحمن ، وأبو الأسود الدؤلي ،وزر بن حبيش ،كما تقدم .

وما ذكره من أن عثمان . رضي الله عنه . ما انتصب لإقراء القرآن ، فقد تبين بقراءة من ذكرناه عليه خلاف ذلك .

وأما قوله : (فقد كان له من أقاربه من هو أوجب حقًا من المغيرة) ، فهذا لا يلزم أيضًا ، إنما يكون قادمًا لو كان غير المغيرة من أقاربه وقد سأله ذلك فأبى أن يقرئه .

فأما كون أقاربه لم يقرؤوا عليه ، فكثير من العلماء قد أخذ عنهم الأجنب والأبعاد دون الأقارب ، وعن قتادة: (أزهذ الناس في العالم أهله) وعن الحسن : (أزهذ الناس في العلم جيرانه) .
وأما قوله في عراق : (إنه مجهول لا يعرف بالنقل في أهل النقل ولا بالقرآن في أهل القرآن) فكفى به تعريفاً وتعديلاً أخذ هشام عنه)... . أهـ .
السخاوي .

وهذا كلام لا نأخذ عليه إلا أنه خص دفاعه عن ابن عامر ، ولعل عذره أنه من أهل الشام وأراد بدفاعه عن ابن عامر دفاعه عن قراءة أهل الشام بالذات والله أعلم بالنيات .

يظهر لنا من كل ما تقدم أن طعن ابن جرير في هذه القراءات إنما هو ناجم عن اعتقاده بعدم تواترها وهذا موطن الداء في موقفه منها ، وهو على أية حال مخطئ في مخالفته للإجماع على تواترها ، ولعل موقفه هذا قد كان له تأثير على ابن الجزري الذي كان يقول بتواتر القراءات السبع ثم عدل عنه إلى الاكتفاء بشهرتها وهو موقف كان مدعاة للنقد وإن كان أهون من موقف الطبري (١) .

(١) هذا النقل الطويل من أجود ما رأيت حول هذا الموضوع ، وقد كنت جمعت عدداً من المراجع والمصادر والمقالات العلمية تدور حول موقف ابن جرير من القراءات ، ومنها :
الطبري ومنهجه في التفسير لمحمود بن الشريف ، ظاهرة نقد القراءات ومنهج الطبري فيها لإسماعيل الطحان ، قراءة نقدية لتفسير الطبري لأحمد لواساني ، القراءات القرآنية وموقف الطبري منها لأمان الدين حتحات ، الاختيار في القراءات للدكتور عبد الفتاح شليبي ، وغيرها .

وبعد اطلاعي عليها رأيتها تكاد تطبق على اتهام ابن جرير في هذا الباب ، ولكن نزول التهمة بما عرفناه الآن - من خلال هذا البحث - من أن الإمام الطبري قَبِلَ بعض القراءات ورد بعضها الآخر في كتابه الكبير في القراءات ، ثم لما أتى إلى تفسير القرآن مشى على ما قرره في كتابه القراءات ، ولذلك كان العلماء قديماً يوجهون اللوم على كتابه في القراءات كما فعل السخاوي في ما قرأناه أعلاه ، وكما فعل ابن الجزري حيث قال أثناء حديثه عن كتاب الطبري في القراءات : (فصير بذلك المتفق عليه مختلفاً فيه ، والمختلف فيه مجمعاً عليه ، وهذا عجيب من مثله مع جلالته) غاية النهاية ١٠٧/٢ ، ولعل الأيام القادمة =

المبحث السادس : الطبري والإسرائيليات :

أخذ البعض على الإمام الطبري إيرادهِ للإسرائيليات في تفسيره ، وأنه نقل ذلك بإسناده إلى كعب الأحبار ، ووهب بن منبه ، وابن جريج ، وغيرهم ، وأنه كذلك نقل عن محمد بن إسحاق كثيراً مما رواه عن مسلمي النصارى (١) .
ويضرب الكثير من هؤلاء من الأمثلة على ذلك ما أورده الإمام الطبري في تفسيره عند قوله تعالى : {قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا} (٩٤) سورة الكهف ، حيث يقول الإمام الطبري : (حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا محمد بن إسحاق قال حدثني بعض من يسوق أحاديث الأعاجم من أهل الكتاب ممن قد أسلم مما توارثوا من علم ذي القرنين أن ذا القرنين كان رجلاً من أهل مصر اسمه مرزبا بن مردبة اليوناني من ولد يوثن بن يافث بن نوح) (٢) .

والحق أن الإمام الطبري لم يلتزم نقد الروايات التي يوردها في هذا الجانب ، وإن كان قد يتعقبها ، إلا أن الأمر كما قال الدكتور الذهبي : (تفسيره لا يزال يحتاج إلى النقد الفاحص الشامل) (٣) .

=تظهر لنا كتاب الإمام الطبري في القراءات ، فقد ذكر بعض من كتب عن الإمام الطبري أن كتابه محفوظ في مكتبة جامع الأزهر . انظر : كتاب (الإمام الطبري) للدكتور : محمد الزحيلي (ص ٢٧٣) .

(١) انظر : التفسير والمفسرون ، للذهبي ١ / ٢١٤ ، الطبري ومنهجه في التفسير لمحمد بن الشريف (ص ١٠٩ - ١١١) .

(٢) جامع البيان للطبري ١٥ / ٣٨٩ - ٣٩٠ .

(٣) انظر : الطبري ومنهجه في التفسير ١١٠ - ١١١ ، والتفسير والمفسرون ١ / ٢١٥ .

المبحث السابع : مباحث العقيدة في تفسير الطبري :

من المعروف عن الإمام الطبري أنه صنف أكثر من كتاب في الاعتقاد على مذهب أهل السنة والجماعة ، فلا غرابة أن يكون تفسيره من مصادر أهل السنة في الرد على المخالفين في مسائل الاعتقاد من المبتدعة وغيرهم .

عند تفسير الإمام الطبري لقوله تعالى : {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} (٧) سورة آل عمران ، قال : (وهذه الآية وإن كانت نزلت فيمن ذكرنا أنها نزلت فيه من أهل الشرك فإنه معني بها كل مبتدع في دين الله بدعة فمال قلبه إليها تأويلاً منه لبعض متشابهة أي القرآن ثم حاج به وجادل به أهل الحق وعدل عن الواضح من أدلة آية المحكمات إرادة منه بذلك اللبس على أهل الحق من المؤمنين وطلباً لعلم تأويل ما تشابه عليه من ذلك كائنا من كان وأي أصناف البدعة كان ، من أهل النصرانية كان أو اليهودية أو المجوسية أو كان سبئياً أو حرورياً أو قديراً أو جهمياً كالذي قال × فإذا رأيتم الذين يجادلون به فهم الذين عنى الله فاحذروهم) (١) .

وهاهو يشنع رحمه الله تعالى على القدرية تأويلاتهم الفاسدة ، فيقول عند قوله تعالى : {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} (٧) سورة الفاتحة ، (وقد ظن بعض أهل الغباء من القدرية أن في وصف الله جل ثناؤه النصراني بالضلال بقوله ولا الضالين وإضافته الضلال إليهم دون إضافة إضلالهم إلى نفسه وتركه وصفهم بأنهم المضللون كالذي وصف به اليهود أنهم المغضوب عليهم دلالة على صحة ما قاله إخوانه من جهلة القدرية جهلاً منه بسعة كلام العرب وتصاريف وجوهه) (٢) .

وللطبري رحمه الله تعالى كلام متين في تفسيره لآيات الاعتقاد ، ومن ذلك ما أورده عند تفسيره لقوله تعالى : {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ

(١) جامع البيان للطبري ٢١٤/٥ .

(٢) جامع البيان للطبري ١ / ١٩٧ - ١٩٨ .

وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ { (١٠٣) سورة الأنعام ، حيث رد على المعتزلة الذين ينكرون رؤية الله يوم القيامة .

المبحث الثامن : موقف الطبري من التفسير بالرأي :

ذكرت فيما سبق أنه غاب عن أذهان الكثيرين أن الإمام الطبري كان ذا شخصية قوية وبارزة في الإدلاء برأيه في كثير من المواطن في ثنايا تفسيره مع إمامته في التفسير بالمأثور .

إلا أنه مع ذلك كان يرد على من يستخدم الرأي في التفسير إذا كان خلواً من الدليل ، ومن ذلك ما جاء عنه في تفسير قوله تعالى : {ثُمَّ يَأْتِي مِنَ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعَصِرُونَ} (٤٩) سورة يوسف ، حيث يقول : (وكان بعض من لا علم له بأقوال السلف من أهل التأويل ممن يفسر القرآن برأيه على مذهب كلام العرب يوجه معنى قوله وفيه يعصرون إلى وفيه ينجون من الجذب والقحط بالغيث) (١) ، ثم أخذ في الرد عليه .

ومن ذلك نقده لأبي عبيدة في تأويله لمعنى قوله تعالى : {فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ} (٣٩) سورة آل عمران ، حيث يقول الإمام الطبري : (وقد زعم بعض أهل العلم بلغات العرب من أهل البصرة أن معنى قوله (مصدقاً بكلمة من الله) بكتاب من الله . من قول العرب أنشدني فلان كلمة كذا ، يراد به قصيدة كذا ، جهلاً منه بتأويل الكلمة واجترأ على ترجمة القرآن برأيه) (٢) .

المبحث التاسع : المباحث اللغوية في تفسير الطبري :

حتى في هذا الباب كان الطبري أثرياً أيضاً ، فإنه كان كثيراً ما يحتج بالرواية عن ثقاة العرب في قبول أو رد المعاني ، ومن ذلك : في قوله تعالى : {قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا

(١) جامع البيان للطبري ١٣ / ١٩٧ .

(٢) جامع البيان للطبري ٥ / ٣٧٣ - ٣٧٤ ، و : مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ / ٩١ .

سَاءَ مَا يَزُرُونَ} (٣١) سورة الأنعام ، يقول الإمام الطبري : (وقد زعم بعضهم أن الوزر الثقل والحمل ، ولست أعرف ذلك كذلك في شاهد ، ولا من رواية ثقة عن العرب) (١) .

وعند قوله تعالى : {وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاَهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ} (٧١) سورة هود ، قال الإمام الطبري : (وقد كان بعض أهل العربية من الكوفيين يزعم أنه لم يسمع ضحكت بمعنى حاضت من ثقة ، وذكر بعض أهل العربية من البصريين أن بعض أهل الحجاز أخبره عن بعضهم أن العرب تقول ضحكت المرأة حاضت) (٢) .

ويمكن تقسيم هذا المبحث إلى عدد من النقاط :

أولاً : الإعراب في تفسير الطبري :

يشير الإمام الطبري إلى أهمية الإعراب في بيان المعنى بقوله : (وإنما اعترضنا بما اعترضنا في ذلك من بيان وجوه إعرابه وإن كان قصدنا في هذا الكتاب الكشف عن تأويل أي القرآن لما في اختلاف وجوه إعراب ذلك من اختلاف وجوه تأويله فاضطرتنا الحاجة إلى كشف وجوه إعرابه لتكشف لطالب تأويله وجوه تأويله) (٣) .

ثانياً : المصطلحات النحوية في تفسير الطبري (٤) :

يبدو أن المصطلحات النحوية في تلك الفترة لم تكن قد استقرت ، يدل على ذلك أن الإمام الطبري لم يثبت على مسار واحد في استعماله للمصطلحات ، ومن ذلك :

حروف الجر : ففي تفسيره لقوله تعالى : {وَإِذَا لَفُؤُا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلُؤا إِلَى شِيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ} (١٤) سورة البقرة ، أطلق الإمام الطبري على حروف الجر مرةً : حروف الصفات ، ومرةً : حروف المعاني ، ولولا طول النص لنقلته كاملاً (٥) .

(١) جامع البيان للطبري ٩ / ٢١٦ .

(٢) جامع البيان للطبري ١٢ / ٤٧٧ .

(٣) جامع البيان للطبري ١ / ١٨٥ .

(٤) مقال : النحو في تفسير الطبري (ص ٦٠) وما بعدها .

(٥) جامع البيان للطبري ١ / ٣٠٩ - ٣١١ .

المفعول لأجله : فتارة بسميه : منصوباً على التفسير للفعل (١) ، وتارة بسميه : منصوباً على الفعل (٢) .

ثالثاً : بين البصريين والكوفيين :

كثيراً ماتجد الإمام الطبري يقارن بين مذهب البصريين والكوفيين في المسائل النحوية في تفسيره ، وخلافاً لما اشتهر عنه : لم يكن الإمام الطبري متعصباً في ذلك لأحد المذهبين على الآخر (٣) .

رابعاً : أثر دلالة الألفاظ عند الإمام الطبري :

يبني الإمام الطبري أحياناً ترجيحه للمعنى بسبب دلالة اللفظ ، وكمثال على ذلك أنقل ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : { نِسَاءُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لَأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ } (٢٢٣) سورة البقرة ، حيث قال : (والصواب من القول في ذلك عندنا قول من قال ، معنى قوله (أنى شئتم) من أي وجه شئتم ، وذلك أن أنى في كلام العرب كلمة تدل إذا ابتدئ بها في الكلام على المسألة عن الوجوه والمذاهب ، فكأن القائل إذا قال لرجل : أنى لك هذا المال ، يريد من أي الوجوه لك ، ولذلك يجيب المجيب فيه بأن يقول : من كذا وكذا (٤) .

خامساً : الشعر في تفسير الإمام الطبري :

كثيراً ما يستشهد الإمام الطبري بالشعر لتأييد ما يذهب إليه من الترجمات ، بل إنه كان يصطفي أفصح الشعر وأبلغ الشواهد (٥) .

(١) جامع البيان للطبري ١ / ٣٧٦ .

(٢) جامع البيان للطبري ٣ / ٥٩٠ .

(٣) مقال : النحو في تفسير الطبري (ص ٦٢) وما بعدها ، و : نشأة التفسير ومناهجه ، للدكتور : بسيوني فودة (ص ١٢٥) .

(٤) جامع البيان للطبري ٣ / ٧٥٩ - ٧٦٠ .

(٥) المقال الثاني للدكتور : فتحي الدريني : الإمام الطبري ومنهجه العلمي في التفسير (ص ٣٢) .

وهذا ما عبر عنه الإمام الطبري بنفسه من قبل حيث قال : (فإن ظن ظان أن العرب إذا كانت ربما نطقت بثم في موضع الواو في ضرورة شعر ، كما قال بعضهم :

سألت ربعة من خيرها ❖❖❖ أبا ثم أما فقالت له

بمعنى أبا وأما فإن ذلك جائز أن يكون نظيره ، فإن ذلك بخلاف ما ظن وذلك أن كتاب الله جل ثناؤه نزل بأفصح لغات العرب وغير جائز توجيه شيء منه إلى الشاذ من لغاتها وله في الأفصح الأشهر معنى مفهوم ووجه معروف(١) .

المبحث العاشر : المباحث الفقهية عند الطبري :

لم يترك الإمام الطبري مسائل الفقه دون أن يبين مذاهب أهل العلم والفقه فيها ، وكان يظهر تربيحه للمذهب الذي يرتضيه ، وكان معتدلاً في ذلك من جهة الإطالة في البيان .

إلا أنه أحياناً يضرب بسهم وافر في البيان ، وربما كان ذلك لما يراه من أهمية الإطالة في بعض المواضع الفقهية ، ومن تلك المواطن التي أطال فيها ، ما كتبه في بيان قول الله تعالى : { وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } (١٩٦) سورة البقرة ، حيث بلغ مادونه الإمام في هذا الموطن أكثر من ١١٥ صفحة ، وذلك في الجزء الثالث من صفحة ٣٢٧ إلى صفحة ٤٤٣ .

ومن ذلك ما كتبه أيضاً في بيان قول الله تعالى : { إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ

(١) جامع البيان للطبري ١٠ / ٨٠ .

اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ قَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (٦٠) سورة التوبة ، حيث بلغ مادو نه الإمام في هذا الموطن أكثر من ٣٣ صفحة ، وذلك في الجزء الحادي عشر من صفحة ٥٠٩ إلى صفحة ٥٣٤ .

ومع أن الإمام الطبري درس في رحلاته العلمية التي أشرنا إليها سابقاً مذهب الإمام الشافعي و مذهب الإمام المالكي ، والفقهاء الظاهري أيضاً ، إلا أنه كان من المجتهدين في الفقه ، بل كان له مذهب فقهي كان معروفاً في وقت الإمام الطبري وبعده ، ولكنه اندثر فيما بعد .

وبهذا المبحث نختم الحديث عن الإمام الطبري ومنهجه في التفسير ، والله تعالى أسأل أن يجازي إمامنا الجليل خير الجزاء ، وأن يثيبه على ما حفظ من علوم الأولين ، وأن يرحمنا وإياه ، ويدخلنا جميعاً دار رضوانه .

الفصل الثاني منهج الفخر الرازي في التفسير

المبحث الأول : مدخل عام (١) :

١. عاش الفخر الرازي ثلاثاً وستين سنة (٥٤٤ - ٦٠٦ هـ) ، وولد في مدينة الريّ ، وإليها ينسب ، وهي تقع في إقليم طبرستان .
٢. بدأ الفخر الرازي في تصنيف التفسير الكبير في وقت متأخر من عمره ، وذلك بعد أن جاوز الخمسين .
٣. استغرق تفسيره للقرآن أكثر من عشر سنوات من عمره ، ولم يكن يفسر السور حسب ترتيبها ، ويظهر هذا من التواريخ التي كان يدونها بعد انتهائه من تفسير كثير من السور .
٤. اختلف المترجمون للفخر الرازي : هل أتم تفسيره أم لا ؟ والذي ظهر لي بعد قراءة عدد من الدراسات (٢) حول هذا الموضوع ، أن الفخر الرازي أكمل تفسيره ، ولكن بعض من كان ينقل التفسير عنه لم يقع لهم التفسير كاملاً ، وفاتهم شيء منه ، ولذلك أكمل بعضهم عمل الرازي ، وكان منهم الخوي ، والقمولي كما سيأتي لاحقاً إن شاء الله تعالى ، ولعل من قام بطبع الكتاب أول مرة ، وقع له شيء من التتمات التي دونها تلاميذ الفخر الرازي ، فألحقها بالكتاب ، وستأكد صحة هذا الرأي من عدمها حينما تجمع المخطوطات لهذا التفسير ويقارن بينها : وذلك للتأكد

(١) انظر : تعريف الدارسين بمناهج المفسرين ٤٦٤ - ٤٩٢ ، و : فخر الدين الرازي ، للدكتور : فتح الله خليف ، و : الرازي من خلال تفسيره ، لعبد العزيز المجدوب ، والتفسير والمفسرون (٢٩٠ - ٢٩٦) .

(٢) انظر : الرازي من خلال تفسيره ، لعبد العزيز المجدوب (ص ٦١ - ٦٢) ، ومقال : الرازي أكمل تفسيره ، للدكتور : محسن عبد الحميد ، ومقال : هل أتم الفخر الرازي كتابه في التفسير ، للأستاذ : علي العماري .

من العبارات الموهمة في ثنايا التفسير والتي توحى بأن هناك من أكمل التفسير .

٥. اشتهرت مقولة عن تفسير الرازي بأنه : فيه كل شيء إلا التفسير ، وصوب بعضهم العبارة لتكون : فيه مع التفسير من كل شيء .
٦. عرف عن الرازي براعته في عرض أقوال المخالفين وشبههم ، بخلاف رده على تلك الشبه ، فكان لا يرقى لمستوى العرض ، حتى قال فيه بعض المغاربة : كان يورد الشبه نقداً ، ويحلها نسيئة (١) .

المبحث الثاني : مصادر الرازي في التفسير :

كان الفخر الرازي ذا ثقافة واسعة في العلوم ، ومن البدهي أن تظهر آثار هذه الثقافة على تفسيره ، ورغم أن الرازي كان مقلداً في جانب التفسير الأثري إلا أنه لم يهمله بالكلية ، وتجد في تفسيره نقولات سلفية بين الحين والآخر ، فنقل بعض أقوال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، وسعيد بن جبير ، والكلبي ، والسدي ، وغيرهم (٢) .

وينقل الفخر الرازي في اللغة كثيراً عن رواتها كالأصمعي وأبي عبيدة ، وعن علمائها كالفرأء بصفة خاصة والزجاج والميرد .

وأكثر الرازي من النقل عن مقاتل بن سليمان ، وخصوصاً في الأجزاء الأخيرة ، وقد يقول : وعن المقاتلين .

واستفاد الرازي من الثعلبي ونقل عنه في كثير من المواضع ، كما استفاد من تلاميذ الثعلبي ، وعلى رأسهم الواحدي .

كما نقل الفخر الرازي عن الإمام الطبري اختياراته (٣) ، ونقل عنه كذلك

(١) انظر مقال : شبهات حول تفسير الرازي ... عرض ومناقشة (ص ٥١) .
(٢) انظر : الإمام فخر الدين الرازي ، للدكتور : علي محمد العماري ، (ص ١٣٧) فصل : مصادر تفسير الرازي .
(٣) التفسير الكبير ٦/٩٣-٩٤ (البقرة / ٢٣١) ، ٧/٩٦ (البقرة / ٢٨٢) .

تضعيفه لبعض الأحاديث^(١) ، كما رد أقوال الإمام الطبري أحيانا أخرى^(٢) .
وحيث كان الرازي إماماً في الأشعرية ، فقد نقل في تفسيره عن أشهر
أعلامها ، وبث أقوالهم في ثنايا المباحث والمسائل التي كان يعقدها في تفسيره ،
خصوصاً ما كان يتعلق منها بمسائل الاعتقاد .
ومن أشهر هؤلاء : الباقلاني ، حيث نقل بعض أقواله^(٣) ، وقد يرجح
اختياراته^(٤) ، وقد يرد عليه أيضاً^(٥) .
ومنهم أيضاً : ابن فورك ، حيث ينقل عنه أحيانا^(٦) ، وقد يرد عليه
أقواله أحيانا أخرى^(٧) .
وقد أكثر الفخر الرازي النقل عن أعلام المعتزلة ، حتى عدّ تفسيره من
مصادر التعرف على أقوالهم ، حيث حفظها الرازي بطريق غير مباشر .
ومن أعلام المعتزلة الذين أكثر الرازي النقل عنهم :
أبو مسلم الأصفهاني ، والقاضي عبد الجبار ، و الزمخشري ، والأصم ،
وأبو علي الجبائي ، وعلي بن عيسى الرماني ، والكعبي .
كما نقل الرازي أيضاً عن : محمد بن علي بن إسماعيل القفال الكبير ،
والذي ذكر في ترجمته أنه كان معتزلياً أيضاً ، فقد نقل الإمام الذهبي عن أبي
الحسن الصفار ، قال : سمعت أبا سهل الصعلوكي ، وسئل عن تفسير أبي
بكر القفال ، فقال : قدّسه من وجه ، ودنّسه من وجه ، أي : دنّسه من جهة
نصره للاعتزال^(٨) .

- (١) التفسير الكبير ١٣٤/٨ (آل عمران/٩٧) ، ٢٧/١٠ (النساء/٢٣) .
- (٢) التفسير الكبير ١٦٠/٨ (آل عمران/١١٢) .
- (٣) التفسير الكبير ١٧٤/٩ (النساء/١١) ، ١٨٦/٣١ (الليل/٢٠-٢١) .
- (٤) التفسير الكبير ٣٠/٣ (البقرة/٤٠) .
- (٥) التفسير الكبير ٧٢/٤ (البقرة/١٣٣-١٣٤) .
- (٦) التفسير الكبير ٨٢/٢١ (الكهف/٩-١٢) .
- (٧) التفسير الكبير ١٨٥/٢ (البقرة/٣١) ، ١٨٢/١٥ (التوبة/٦) .
- (٨) سير أعلام النبلاء ٢٨٥/١٦ .

المبحث الثالث : المآثور و الرازي :

كما قلت سابقاً عن تعلق الإمام الطبري بالأثر ، أشير هنا لتعلق الرازي بالرأي ، لدرجة أن اسمه ارتبط بهذا اللون من التفسير ، فلا يذكر التفسير بالرأي ، إلا ويقفز للذهن : الرازي وتفسيره .
ورغم شهرة هذا الأمر عن الرازي ، إلا أن تفسيره تلحظ فيه ارتباطاً - ولو ضعيفاً - بالمآثور .

فمن تفسيره القرآن بالقرآن : ما أورده عند قوله تعالى : {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ} (٧٢) سورة النحل ، حيث يقول الرازي : (ومعنى : {من أنفسكم} مثل قوله : {فاقتلوا أنفسكم} (البقرة: ٥٤) وقوله : {فسلموا على أنفسكم} (النور: ٦١) أي بعضكم على بعض ، ونظير هذه الآية قوله تعالى : {ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً} الروم: ٢١)) (١).

ومن تفسيره القرآن بالقرآن أيضاً : ما أورده عند قوله تعالى : {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} (١٢٤) سورة طه ، حيث يقول الرازي : (أما قوله تعالى : {ونحشره يوم القيامة أعمى} ففيه وجوه: أحدها: هذا مثل قوله: {ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً} (الإسراء: ٩٧) (٢) .

ومن تفسيره القرآن بالسنة ، ويصلح مثلاً لتفسير القرآن بالقرآن كذلك : ما أورده عند قوله تعالى : {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا} (٧١) سورة مريم ، حيث يقول الرازي : (القول الثاني: أن الورد هو الدخول ويدل عليه الآية والخبر ، أما الآية فقوله تعالى : {إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون} (الأنبياء: ٩٨) وقال : {فأوردهم النار وبئس الورد المردود} (هود: ٩٨) ويدل عليه قوله تعالى : {أولئك عنها مبعدون} والمبعد هو الذي لولا التباعد لكان قريباً فهذا إنما يحصل لو كانوا في النار ، ثم

(١) التفسير الكبير ٦٥/٢٠ (النحل/٧٢) .

(٢) التفسير الكبير ١١٣/٢٢ (طه/١٢٤) .

إنه تعالى يبعدهم عنها ويدل عليه قوله تعالى: {ونذر الظالمين فيها جثياً} وهذا يدل على أنهم يبقون في ذلك الموضع الذي وردوه وهم إنما يبقون في النار فلا بد وأن يكونوا قد دخلوا النار، وأما الخبر فهو أن عبد الله بن رواحة قال: «أخبر الله عن الورود ولم يخبر بالصدور، فقال عليه السلام: يا ابن رواحة اقرأ ما بعدها ثم ننجي الذين اتقوا» (١).

وعموماً يلاحظ أن الرازي قليل الاعتماد على الحديث في تفسيره ، وقد ضرب صفحاً بصفة خاصة عن الأحاديث التي يذكرها المفسرون في فضائل السور ، مع أنه أورد عدداً من الأحاديث في فضائل سورة الإخلاص (٢) . أما عن إيراد أقوال الصحابة والتابعين فهو أكثر من إيراده للأحاديث المرفوعة ، وقد أكثر من النقل عن ابن عباس ، ربما لكونه رضي الله تعالى عنه من المكثرين أصلاً في التفسير ، كما نقل عن قتادة وسعيد بن جبير ، وغيرهم (٣) .

المبحث الرابع : أسباب النزول عند الرازي :

عني الرازي في تفسيره بذكر أسباب النزول ، وكان يذكرها غير مسندة لناقلها وقائلها ، وقد يفعل ذلك أحياناً ، وقل أن توجد سورة لم يذكر فيها سبباً أو أكثر من أسباب النزول ، لاسيما فيما يتعلق بشئون صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو بكفار قريش ، وهو يحرص كل الحرص على إيراد سبب النزول إذا كان فهم الآية يتوقف على بيان هذا السبب (٤) .

وقد كان الفخر الرازي ينقل الروايات الواردة في سبب النزول ثم يحاول الجمع بينها ، ومن ذلك ما أورده عند تفسيره لقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

(١) التفسير الكبير ٢١/٢٠٨ (مریم/٧١)، ولم أجد تخريج هذا الحديث في المصادر التي رجعت إليها .

(٢) الإمام فخر الدين الرازي ، للدكتور : علي محمد العماري (ص ١٢٧) .

(٣) التفسير الكبير ٢١/٢١ (الإسراء/٧٨) ، ١٢٢/٢١ (الكهف/٦٠) ، ١٤٠/٢٢ ، (الأنبياء/٣٠) ، وغيرها كثير .

(٤) الإمام فخر الدين الرازي ، للدكتور : علي محمد العماري (ص ١٣٣ - ١٣٤) .

أَمْنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَى إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَعَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا { (٩٤) سورة النساء ، حيث أورد ثلاث روايات في سبب النزول ، ثم نقل عن القفال قوله : (لامنافاة بين هذه الروايات ، فلعلها نزلت عند وقوعها بأسرها ، فكان كل فريق يظن أنها نزلت في واقعه) (١) .

وقد يورد سبب النزول ثم يورد بعده دراسة عنه ، وما قيل فيه ، كما فعل ذلك عند إيراده لسبب نزول قوله تعالى : { وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا } (٢٣) سورة الكهف ، حيث أورد سبب النزول المشهور في هذه الآية ، ثم نقل عن القاضي - ولعله عبد الجبار - اعتراضاته العقلية على هذا السبب ، ثم أجاب الرازي عن اعتراضات القاضي وأثبت الرواية في سبب النزول (٢) .

المبحث الخامس : القراءات عند الرازي :

يعرض الرازي للقراءات المختلفة في تفسيره ، وقد يخرج المعنى على كل قراءة ، وربما أعرب الآيات بحسب القراءات المختلفة ، وقد يحتج للقراءة بما قاله النحويون (٣) .

فمن تخريجه للقراءات والاحتجاج لها ، ما جاء عند تفسيره لقوله تعالى : { وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا } (٥) سورة الكهف ، حيث قال : (قرىء: {كبرت كلمة} بالنصب على التمييز وبالرفع على الفاعلية، قال الواحدي : ومعنى التمييز أنك إذا قلت كبرت المقالة أو الكلمة جاز أن يتوهم أنها كبرت كذباً أو جهلاً أو افتراءً، فلما قلت كلمة ميزتها من محتملاتها فانتصبت على التمييز والتقدير كبرت الكلمة كلمة فحصل فيه الإضمار، أما من رفع فلم يضم شيئاً كما تقول عظم فلان،

(١) التفسير الكبير ١١ / ٤ .

(٢) التفسير الكبير ٢١ / ٩٢ .

(٣) الإمام فخر الدين الرازي ، للدكتور : علي محمد العماري (ص ١٢٥) .

فلذلك قال النحويون والنصب أقوى وأبلغ، وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما أكبرها كلمة (١) .

ويحتج الرازي على إبطال القراءات الشواذ بالحجة العقلية ، ومن ذلك ما ورد في تفسيره عند قوله تعالى : {مَلِكِ النَّاسِ} (٢) سورة الناس ، حيث يقول الرازي : (لا يجوز ههنا مالك الناس ويجوز: {مالك يوم الدين} في سورة الفاتحة، والفرق أن قوله: {رب الناس} أفاد كونه مالكا لهم فلا بد وأن يكون المذكور عقيبه هذا الملك ليفيد أنه مالك ومع كونه مالكا فهو ملك، فإن قيل: أليس قال في سورة الفاتحة: {رب العالمين} ثم قال: {مالك يوم الدين} فليزم وقوع التكرار هناك؟ قلنا اللفظ دل على أنه رب العالمين، وهي الأشياء الموجودة في الحال، وعلى أنه مالك ليوم الدين أي قادر عليه فهناك الرب مضاف إلى شيء والمالك إلى شيء آخر فلم يلزم التكرير، وأما ههنا لو ذكر المالك لكان الرب والمالك مضافين إلى شيء واحد ، فيلزم منه التكرير فظهر الفرق ، وأيضاً فجواز القراءات يتبع النزول لا القياس، وقد قرىء مالك لكن في الشواذ (٢) .

وقد أكثر الرازي في تفسيره من بيان القراءات عموماً ، وإن كان لا يبين أصحابها غالباً ، إلا أنه يحتج لها بكلام النحاة أيضاً كما ظهر لنا في المثال السابق .

المبحث السادس : الإسرائيليات عند الرازي :

يذكر الشيخ محمد أبو شهبه: أن تفسير الرازي يكاد يخلو من الإسرائيليات، وأنه إذا ذكر شيئاً من ذلك فلأجل أن يبطله .
ومثل الشيخ لذلك بأمثلة منها : قصة هاروت وماروت ، وقصة داود وسليمان ، وغيرهما .

ويبين الشيخ أن الرازي تعرض بالتزئيف لبعض المرويات التي تخل بعصمة النبي صلى الله عليه وسلم وأبطلها ، كما صنع في قصة الغرانيق .

(١) التفسير الكبير ٢١ / ٦٦ .

(٢) التفسير الكبير ٣٢ / ١٨١ ، وانظر : إعراب القراءات الشواذ ، للعكبري ٢ / ٧٦٢ .

ثم يقول الشيخ أبو شهبه : نعم قد ذكر - يعني الرازي - بعض المرويّات التي تعتبر من الإسرائيليّات ، وذلك مثل ما روى في : (ن) وأنه الحوت الذي على ظهره الأرض ، وإن كان ضعفه فيما ضعف من أقوال في هذه الآية، ولكن لم يعوّل في التضعيف على مخالفتها للعقل ، أو ضعفها من جهة النقل ، أو كونها من الإسرائيليّات ، وإنما اعتمد على وجه آخر يرجع إلى النحو (١) .

أقول : قد ينقل الرازي الإسرائيليّات ولا يعقب عليها بشيء ، ومن ذلك : ما نقله في تفسير قوله تعالى : { كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ } (٩٣) سورة آل عمران ، قال الرازي : (جاء في بعض الروايات أن الذي حرمه على نفسه زوائد الكبد والشحم إلا ما على الظهر، ونقل القفال رحمه الله عن ترجمة التوراة ، أن يعقوب لما خرج من حران إلى كنعان بعث برداً إلى عيصو أخيه إلى أرض ساعير، فانصرف الرسول إليه، وقال: إن عيصو هو ذا يتلّقاك ومعه أربعمئة رجل، فدعر يعقوب وحرزن جداً وصلى ودعا وقدم هدايا لأخيه وذكر القصة إلى أن ذكر الملك الذي لقيه في صورة رجل، فدنا ذلك الرجل ووضع أصبعه على موضع عرق النسا، فخرت تلك العصبه وجفت فمن أجل هذا لا يأكل بنو إسرائيل العروق) (٢) .

المبحث السابع : الرازي ومسائل الاعتقاد في تفسيره :

كان الرازي إماماً في المذهب الأشعري كما هو معروف ، وقد صرف المسائل المتعلقة بالعقيدة في تفسيره نحو هذا المذهب ، وأعلام هذه الحقيقة ظاهرة للعيان جداً .

(١) انظر فيما سبق : الإسرائيليّات والموضوعات في كتب التفسير ، للشيخ الدكتور : محمد أبو

شهبه (ص ١٣٤) .

(٢) التفسير الكبير ٨ / ١٢٢ .

فقد أول الرازي الصفات الثابتة لله تعالى : فأول صفة الرحمة والغضب والحياء والاستواء ، وغيرها من الصفات (١) .

ومن المسائل التي بنى تفسيره عليها وهي على مذهب الأشاعرة : عدم تفرقه بين الإرادة الشرعية والإرادة الكونية ، فتراه يقول : (قال أصحابنا: الطلب النفساني (٢) مغاير للإرادة أما بيان أن الطلب النفساني مغاير للإرادة فالدليل عليه : أنه تعالى أمر الكافر بالإيمان، وهذا متفق عليه، ولكن لم يرد منه الإيمان، ولو أراد لوقع (٣) .

والكلام في التفريق بين الإرادتين على مذهب أهل السنة معروف ومشهور (٤) .

ولربما وقع من الرازي كلام لا يحسن إيراده، ولولا طبيعة البحث لم أذكره، ومن ذلك قوله : (واعلم أن محمد بن إسحاق بن خزيمة أورد استدلال أصحابنا بهذه الآية في الكتاب الذي سماه «بالتوحيد»، وهو في الحقيقة كتاب الشرك، واعترض عليها (٥) .

وقد أكثر الرازي في تفسيره من الرد على المعتزلة (٦) ، وعقد لهم الكثير من المباحث والمسائل العلمية ، إلا أنه في المقابل كان يقع في مذهب أهل السنة ويسميه : المشبهة والمجسمة (٧) .

فنسأل الله تعالى أن يغفر لنا وله ، خاصة إذا علمنا أن الرجل رجع في آخر حياته وتاب من الطرق الكلامية التي كان عليها ، وكتب وصيةً في ذلك جديرة بالاطلاع ، ولتفصيل الكلام حول هذا الموضوع مقام آخر .

(١) انظر : المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات ، ٢ / ٤٧ - ٩٢ .

(٢) يقصد بالطلب النفساني : الأوامر الإلهية للعباد .

(٣) التفسير الكبير ١ / ٣٣ .

(٤) انظر : القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة (ص ٤٢٦) .

(٥) التفسير الكبير ٢٧ / ١٣٠ (الشورى ٧ - ١٢) .

(٦) انظر : التفسير ورجاله ، لابن عاشور (ص ٩٧) .

(٧) انظر : الرازي من خلال تفسيره ، لعبد العزيز المجذوب (ص ١١٥ - ١١٧) .

المبحث الثامن : المباحث اللغوية عند الرازي :

سبق أن أشرت في ثنايا المبحث الخامس : أن الفخر الرازي كان يحتج للقراءات بكلام النحاة .

وقد ينقل كلامهم لبيان الوجه الإعرابي للآية ، كما فعل عند تفسيره لقوله تعالى : { فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ } (٧١) سورة البقرة ، حيث يقول الرازي : (وها هنا بحث: وهو أن النحويين ذكروا «لكاد» تفسيرين. الأول: قالوا: إن نفيه إثبات وإثباته نفي. فقولنا: كاد يفعل كذا معناه قرب من أن يفعل لكنه ما فعله وقولنا: ما كاد يفعل كذا معناه قرب من أن يفعل لكنه فعله. والثاني: وهو اختيار الشيخ عبد القاهر الجرجاني النحوي أن كاد معناه المقاربة فقولنا كاد يفعل معناه قرب من الفعل وقولنا ما كاد يفعل معناه ما قرب منه ولأولين أن يحتجوا على فساد هذا الثاني بهذه الآية لأن قوله تعالى: {وما كادوا يفعلون} معناه وما قاربوا الفعل ونفي المقاربة من الفعل يناقض إثبات وقوع الفعل، فلو كان كاد للمقاربة لزم وقوع التناقض في هذه الآية) (١) .

وكان الرازي يهتم بالمسائل التي هي محل اتفاق عند النحويين (٢) ، وكان يتعجب منهم أحياناً في تكلف التخريجات النحوية في آيات الكتاب العزيز ، ويحمل عليهم الاحتجاج في ذلك بشعر بعض المجاهيل وترك أي القرآن الكريم (٣) ، وقال مرةً : (وكثيراً أرى النحويين يتحيرون في تقرير الألفاظ الواردة في القرآن، فإذا استشهدوا في تقريره ببيت مجهول فرحوا به، وأنا شديد التعجب منهم، فانهم إذا جعلوا ورود ذلك البيت المجهول على وفقه دليلاً على صحته، فلأن يجعلوا ورود القرآن به دليلاً على صحته كان أولى) (٤) .

(١) التفسير الكبير ١١٢/٣ .

(٢) انظر مثلاً : التفسير الكبير ١١١/١ (الفاحة / ١) ، ١٠٦/١٨ (يوسف / ٣٥) ، وغيرها من المواطن .

(٣) انظر مثلاً : التفسير الكبير ١١٦/٥ (البقرة/١٩٥) ، ١٠٤/٨ (آل عمران / ٨١) .

(٤) التفسير الكبير ٤٥/٩ (آل عمران / ١٥٦) .

واشتهر الرازي بأن تفسيره احتوى الكثير من المباحث البلاغية والبيانية التي سعى الفخر الرازي منها لبيان إعجاز القرآن الكريم (١) .
أما بالنسبة للشواهد الشعرية عند الفخر الرازي فقد كانت قليلة مقارنة بطول الكتاب وكثرة مباحثه العلمية ، وتميز الرازي في هذا الباب أنه قد يشرح ويبين معنى ما يورده من الآيات المستشهد بها ، كما فعل عند تفسيره لقوله تعالى : { يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السُّحْرَ } (١٠٢) سورة البقرة (٢) .

المبحث التاسع : الفقه في تفسير الرازي :

وقف الرازي عند آيات الأحكام ، وبين فيها المذاهب الفقهية ، ولكنه كان دائم المناصرة لمذهبه الشافعي ، بل قال بعض أهل العلم : (لم أر قط أنه ضعّف مذهبه الشافعي ، بل دائماً ينهي ذكره لأقوال الفقهاء بأن قول الشافعي هو الأولى) (٣) .

وكان يطيل في البحث الفقهي أحياناً ، كما فعل عند تفسيره لآيات الأحكام في سورة البقرة ، حيث قسّم الأحكام فيها علوفاً تسلسل الآيات ، فاستخرج طريقةً بديعة لم أرها عند غيره حسب اطلاعي القاصر (٤) .
وأشير أخيراً إلى أن الرازي عقد مع أبي بكر الرازي الجصاص ، الفقيه الحنفي ، عدداً من المناوشات في تفسير آيات الأحكام ، ولتصور ذلك ، أنقل ماقاله الفخر الرازي في ذلك : (ثم إن أبا بكر الرازي أخذ يتمسك في إثبات مذهبه بالأحاديث والأقيسة ، ومن تكلم في أحكام القرآن وجب أن لا يذكر إلا ما يتسبّطه من الآية ، فأما ما سوى ذلك فإنما يليق بكتب الفقه) (٥) .

(١) اطلعت على كتاب كامل اهتم مؤلفه بهذا الجانب عند الرازي ، واسم الكتاب : المباحث

البيانية في تفسير الفخر الرازي : دراسة بلاغية تفصيلية ، للأستاذ : أحمد هندواي هلال .

(٢) التفسير الكبير ٣/١٨٦-١٨٧ .

(٣) نشأة التفسير ومناهجه ، (ص ١٩٢) ، وانظر كذلك : التفسير والمفسرون ١ / ١٩٥ .

(٤) انظر : التفسير الكبير ٦ / ٢٠ - ١٣٧ .

(٥) التفسير الكبير ١٠ / ٢٦ (النساء / ٢٣) .

ومن ذلك أيضاً : قول الرازي في تفسير قوله تعالى : { مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ } (١٢) سورة النساء ، قال الفخر الرازي : (قال أبو بكر الرازي : المذكور في الآية الدين المطلق، والنبى صلى الله عليه وسلم سمى الحج ديناً لله، والاسم المطلق لا يتناول المقيد ، قلنا: هذا في غاية الركافة لأنه لما ثبت أن هذا دين، وثبت بحكم الآية أن الدين مقدم على الميراث لزم المقصود لا محالة، وحديث الإطلاق والتقييد كلام مهمل لا يقدر في هذا المطلوب والله أعلم) (١) .

بقي أن أشير إلى أن الشافعية لم يأخذوا بأقوال الرازي الفقهية المبنية في ثنايا تفسيره ، ولا توجد في كتب الشافعية اختيارات الفخر الرازي الفقهية ، ويبين الدكتور: فتح الله خليف السبب في ذلك ، وذلك أن الرازي كان يستخدم الأسلوب الكلامي والقواعد العقلية المنطقية حتى في دراسته للمسائل الفقهية ، وهو سبيلٌ وعزٌّ أدى لإهمال أقواله واختياراته الفقهية (٢) .

المبحث العاشر : متفرقات حول تفسير الرازي :

١. برع الرازي في إظهار المناسبات بأنواعها في تفسيره ، وهو يرى أن في ترتيب الآيات من اللطائف ما به كان القرآن معجزاً ، ويسمى ذلك : النظم، ويقول في ذلك : (من تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضاً معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته ولعلّ الذين قالوا: إنه معجز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك إلا أنني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير متنبهين لهذه الأمور، وليس الأمر في هذا الباب إلا كما قيل:

والنجم تستصغر الأبصار رؤيته ** والذنب للطرف لا للنجم في الصغر (٣)

(١) التفسير الكبير ٩ / ١٨٢ .

(٢) انظر : فخر الدين الرازي ، للدكتور: فتح الله خليف ، (ص ٢٨) .

(٣) التفسير الكبير ٧ / ١١٢ (البقرة / ٢٨٥) .

٢. اعتنى الرازي في تفسيره بعرض الاستشكالات التي يتوهمها البعض على آيات القرآن الكريم ، ويجيب عليها ، إلا أنه كما ذكرنا سابقاً ، قد يعرض الأمر ويقصر في رده (١) .
٣. أكثر الرازي من عرض علوم الفلسفة والفلك والرياضيات ، وكان ينتقد من يعيب عليه ذلك ، ويقول : (وربما جاء بعض الجهال والحمقى وقال إنك أكثرت في تفسير كتاب الله من علم الهيئة والنجوم، وذلك على خلاف المعتاد! فيقال لهذا المسكين: إنك لو تأملت في كتاب الله حق التأمل لعرفت فساد ما ذكرته، وتقريره من وجوه:) (٢) .
٤. كان الطبري يقدم النقل على العقل في تفسيره، بينما مال الرازي لمذهب المعتزلة في هذا الباب ورفض الاحتجاج بالدليل النقلى إلا بعد توافر عشرة شروط، وإلا قدم العقل على النقل، وهو بهذا يخالف الإمام الأشعري (٣).

وبهذا المطبعت نختتم أكديث عن الفخر الرازي
ومنهج في التفسير ،
والله تعالى أسأل أن يغفر لنا وله ،
وأن يرحمنا وإياه ، ويدخلنا جميعاً دار رضوانه .

(١) انظر أمثلة على ذلك في التفسير : ٧ / ٢٣ (البقرة / ٢٥٨-٢٥٩) ، ٢١ / ٢٠٢ (مريم / ٦٢) ، ٢٧ / ٩٣ (فصلت / ٩-١٢) .
(٢) التفسير الكبير ١٤ / ٩٩ (الأعراف / ٥٤) .
(٣) منهج الإمام فخر الدين الرازي بين الأشاعرة والمعتزلة ١ / ٨٥ .

الفصل الثالث

المقارنة بين منهجي الطبري والرازي

وبعد هذه الرحلة مع هذين العلمين ، وبيان منهجهما في التفسير ، أثرت أن يكون عقد المقارنة بينهما في فصل خاص ، سعياً لإبراز المحاسن عند كلا المفسرين، باعتبارهما علمين على هاتين المدرستين: مدرسة الأثر ومدرسة الرأي، ومع أن القارئ سيلحظ بعض النقد عند عقد المقارنة ، إلا أن هذا الأمر لا يبد منه ، إذ من المسلم به أن الرجلين يمثل كل منهما مدرسة مشهورة من مدارس التفسير التي تحتاج للحكم على طريقتها وأفكارها دون الحكم على أفرادها أو التنقص منهم .

- لاحظت أن كلاً من المفسرين ابتداءً تصنيف التفسير في مرحلة متأخرة من عمره ، ولاحظت أيضاً أن كلاً منهما استغرق فترة طويلة في كتابة التفسير، وهذه منقبة جليظة، إذ إن التأليف عند اشتداد العود والتمكن من العلوم أوفق للصواب غالباً.
- أكثر الإمام الطبري من الأثر، وكان سمة بارزة من سمات تفسيره ، ومع أن الفخر الرازي كان يورد الأحاديث والآثار في تفسيره ، إلا أن الطبري يفوقه كماً وكيفاً في ذلك .
- كان الإمام الطبري يُعْمَلُ رأيه في الترجيح ، إلا أنه لم يكن ديدنه عرض النصوص على الرأي وتحكيم العقل فيها ، بينما رأينا الفخر الرازي كثير الاحتكام للرأي ، وتوسع كثيراً في العقليات .
- لم ينقل الإمام الطبري في تفسيره عن الكلبي ومقاتل بن سليمان ، بينما نقل عنهما الفخر الرازي .
- لم ينقل الإمام الطبري عن المعروفين بالبدع كالمعتزلة وغيرهم ، مع أنهم كانوا موجودين في زمانه ، في حين أن الرازي كثير النقل عن أمثال هؤلاء .
- اعتنى كل من الإمام الطبري والفخر الرازي بأسباب النزول، واعتاد الرازي ذكرها دون ذكر ناقلها ولا إسنادها، بخلاف الطبري .

- أورد كلا المفسرين القراءات في كتابيهما ، واعتنيا أحياناً بتوجيه القراءات، وكان منهجهما متشابها إلى حد كبير في هذا الجانب.
- أورد كل من المفسرين الإسرائيليات ، ولكن الإمام الطبري كان أكثر من الفخر الرازي في هذا الجانب .
- كان الطبري إماماً لأهل السنة والجماعة، أما الفخر الرازي فقد كان إماماً للأشاعرة ، وقد ظهر أثر ذلك في كلا التفسيرين بوضوح، ففي حين كان الإمام الطبري يرد على المبتدعة والقدرية، كان الرازي يرد على المعتزلة، وزاد الرازي بلمز أهل السنة ووصفهم بالمشبهة والمجسمة ، بل وقع في بعض أعلامهم كما رأينا موقفه من الإمام ابن خزيمة ، وسمى كتابه التوحيد : كتاب الشرك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ولا يفوتني أن أذكر أن الرازي رجع في آخر حياته إلى مذهب أهل السنة والجماعة كما ذكرنا في ثنايا البحث.
- أكثر الإمام الطبري من إيراد أقوال نحاة البصرة والكوفة ، مع التعليق على ذلك ، وأكثر الفخر الرازي من إيراد أقوال النحاة أيضاً ، وخصوصاً فيما يتعلق بالإعراب وتوجيه القراءات .
- كان لابن جرير الطبري اجتهاده الخاص في المسائل الفقهية ، واشتهر في عهده وما تلاه المذهب الجريري ، ولكنه اندثر لاحقاً ، بينما كان الرازي شافعيّاً لا يغازر أقوال مذهبه كما ظهر لنا سابقاً، ولم يكن لأقوال الفخر الرازي مكانة فقهية عند فقهاء مذهبه كما هو معروف.
- أكثر الرازي في تفسيره من بيان المناسبات بأنواعها ، بينما كان الطبري أقل منه في هذا الجانب ، ومع كون الإمام الطبري لم يغفل هذا الجانب، إلا أن تفسير الرازي كان ولازال من أهم المصادر عند المفسرين في استخراج المناسبات .
- أكثر الرازي من إيراد المشكلات التي يتوهمها البعض في الآيات ، أما الإمام الطبري فقد كان أقل منه في هذا الباب ، ولا بد من التنكير هنا بما اشتهر به الفخر الرازي من كونه يورد الشبه بوضوح بالغ ، ثم يقصر في ردها ، حتى قال فيه بعض المغاربة : كان يورد الشبه نقداً، ويحلها نسيئة .

- توسع الفخر الرازي في إيراد علوم الفلك والطب والهيئة في ثنايا التفسير ، بينما لانكاد نجد شيئاً من ذلك عند الإمام الطبري.
- تكررت طبعات الكتابين في هذا العصر، وكانت العناية بتحقيق وتخرير كتاب "جامع البيان" للإمام الطبري أكثر من كتاب "التفسير الكبير" للفخر الرازي، فلا زال هذا الأخير يحتاج لمزيد عناية بنصه وتخرير للأحاديث والآثار وأسباب النزول التي أوردها في ثنايا التفسير.

الخاتمة:

نتائج البحث:

١. على عكس السائد بين الباحثين، لم يكن الطبري مهملًا
الرأي، ولم يكن الرازي هاجرا للأثر.
٢. نقل الفخر الرازي عن الإمام الطبري اختياراته، ونقل عنه
كذلك تضعيفه لبعض الأحاديث، كما رد أقوال الإمام
الطبري أحياناً أخرى، وهي مادة علمية تصلح لبحوث
الدراسات العليا.
٣. الشخصية العلمية للإمام الطبري سلكت بالمأثور مسلكاً
نقدياً تمحيصياً كان ينتهي غالباً بترجيحه واختياره لما يراه
صواباً، وكل ذلك كان بالحجة والدليل، مما نفى عن
الإمام الطبري صفة الناقل والمدون للمأثور فقط.
٤. الإمام الطبري صنف كتاباً في القراءات، وكثير من الناس
يحاكم الإمام الطبري في منهجه في القراءات على ماورد
في تفسيره من رد بعض القراءات أو توهينها، وفاتهم أن
التسبيح جاء بعد الإمام الطبري، وأن الطبري إنما كان
يقبل ويرد حسب ما وصله من أسانيد القراءات.
٥. للرازي جهد كبير حول أسباب النزول، وذلك من جهة
كثرة الروايات عنده، وكلامه على الجمع بين المختلف
منها، ومناقشته لمن يضعف هذه الروايات بالرأي والعقل.

توصيات:

١. تخصيص دراسات علمية حول منهج الطبري في التفسير
الرأي، فقد تبين من خلال البحث أنه يعمل بالرأي في
تفسيره ويجتهد، وهذا المسلك يحتاج لدراسته بدقة.
٢. للرازي جهود علمية جيدة حول التوفيق بين المرويات
الواردة في أسباب النزول، وينبغي تخصيص دراسة علمية
لذلك.

٣. عقد محاكمة علمية تدرس ردود الرازي على الطبري،
عددها، ونوعها، ومدى صحتها، وأثرها على الحركة
العلمية عند المفسرين.

وأحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء المرسلين.

ثبت المصادر والمراجع

- النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري، الجامع الصحيح، تحقيق وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، ١٩٧٩م، ط٢: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- فودة، محمود بسيوني، نشأة التفسير ومناهجه في ضوء المذاهب الإسلامية، ١٤٠٦هـ، ط١: مطبعة الأمانة، مصر.
- المغراوي، محمد بن عبد الرحمن، المفسرون بين التأويل والإثبات، ١٤٠٥هـ، ط١: نشر دار طيبة، الرياض.
- المحمود، عبد الرحمن، القضاء والقدر، ١٤١٤هـ، ط١: دار النشر الدولي، الرياض.
- المجدوب، عبد العزيز، الرازي من خلال تفسيره، ١٤٠٠هـ، ط٢: الدار العربية للكتاب، ليبيا و تونس.
- العماري، علي بن محمد، الإمام فخر الدين الرازي، ١٣٨٨هـ، ط١: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر.
- العكبري، أبو البقاء، إعراب القراءات الشواذ، دراسة وتحقيق: محمد عزوز، ١٤١٧هـ. ط١: عالم الكتب، لبنان.
- العبد الله، خديجة حمادي، منهج الإمام فخر الدين الرازي بين الأشاعرة والمعتزلة، ١٤٣٣هـ، ط١: مطبعة الأمانة دار النوادر، سوريا.
- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق: الدكتور: عبد الله التركي، ١٤٢٢هـ، ط١: دار هجر، مصر.
- شلبي، عبد الفتاح، الاختيار في القراءات منشؤه ومشروعيته، ط١: ١٤١٧هـ، جامعة أم القرى.
- الشريف، محمود، الطبري ومنهجه في التفسير، ١٤٠٤هـ، ط١: شركة مكتبات عكاظ، جدة.

- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، الإتيقان في علوم القرآن، ١٤١٤ هـ ط ٢ : دار ابن كثير.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، طبقات المفسرين، تحقيق : علي محمد عمر، ١٣٩٦ هـ، ط ١: الناشر: مكتبة وهبه، مصر.
- الزحيلي، محمد، الإمام الطبري شيخ المفسرين، ١٤٢٠ هـ، ط ٢ : دار القلم .
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الدمشقي، سير أعلام النبلاء، ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وجماعة من المحققين، ١٤٠٢ هـ، ط ٢: مؤسسة الرسالة، بيروت .
- الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون ، ١٣٩٦ هـ ، طبعة مصورة عن الطبعة الثانية دون اسم الناشر .
- خليف، فتح الله، فخر الدين الرازي، ١٩٧٧، الناشر: دار الجامعات المصرية.
- الخضير، محمد، تفسير التابعين، ١٤٢٠ هـ ط ١: دار الوطن، السعودية.
- الخالدي، صلاح، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين ، ١٤٢٣ هـ، ط ١ : دار القلم .
- الحموي، ياقوت، معجم الأدياء، ١٤٠٠ هـ، ط ٣: دار الفكر ، بيروت.
- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، التفسير الكبير ويسمى مفاتيح الغيب، طبع : دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ .
- الترمذي، أبي عيسى محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، تحقيق: الدكتور: بشار معروف، ١٩٩٨، ط ٢ : دار الجيل ، بيروت.
- بلال، أحمد هنداوي، المباحث البيانية في تفسير الفخر الرازي ، دراسة بلاغية تفصيلية، ١٤٢٠ هـ، ط ١: نشر: مكتبة وهبة ، مصر .

- البخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، مع شرحه فتح الباري، المطبعة السلفية.
- أبو شهبة، محمد، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ، ١٤٠٨ هـ ، ط ٤ : مكتبة السنة.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ١٤١٩ هـ، ط ١: دار القبلة ومؤسسة علوم القرآن ودار ابن حزم.
- ابن عاشور، محمد الفاضل، التفسير ورجاله، ١٩٧٢، ط ٢: دار الكتب الشرقية ، تونس .
- ابن حنبل، الإمام أحمد، المسند، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وجماعة من المحققين، ١٤٢٩ هـ، ط ٢: مؤسسة الرسالة، لبنان.
- الموصلي، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى ، المسند، تحقيق: حسين سليم أسد، ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢ م، ط ١: دار الثقافة العربية، دمشق، بيروت.
- ابن تيمية، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم، مجموع الفتاوى، ١٤١٥ هـ، طبع: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية.
- ابن المثنى، أبو عبيدة معمر، مجاز القرآن، عارضه بأصوله : فؤاد سزكين، نشر : مكتبة الخانجي، مصر.
- ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد، غاية النهاية في طبقات الفقهاء، عني به: ج. برجستراسر، ١٤٠٢ هـ ، ط ٣: دار الكتب العلمية، بيروت.

مقالات المجلات :

- لواساني، أحمد، ١٤١١ هـ، "قراءة نقدية لتفسير الطبري"، مجلة المعارف ١ جمادى الثاني، ص ٢١ - ٣٧ .
- الكبسي، عيادة، ١٤١٩ هـ ، " شبهاة حول تفسير الرازي "، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية ، الإمارات، ١٦، ص ٥١-٧٣.

- العماري، الدكتور: علي، " منهج الرازي في تفسيره " ١٣٨٧هـ، مجلة الأزهر، ٣، جمادى الأولى، ص ٢٥٣ - ٢٥٩ .
- العماري، الدكتور: علي، " هل أتم الفخر الرازي كتابه في التفسير " ، رجب - شعبان ١٣٨٦هـ، مجلة الأزهر، ٥ - ٦، ص ٥٣٩-٥٤٦.
- عبد الحميد، محسن، " الرازي أكمل تفسيره"، ١٣٩٤ هـ، مجلة الرسالة الإسلامية ، ٧٢-٧٣ ربيع الأول - ربيع الثاني، ص ٥١-٦٢.
- الطحان، إسماعيل، ١٤٠٩هـ، "ظاهرة نقد القراءات ومنهج الطبري فيها"، حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، ٧، ص ٢٩-٦٩ .
- شبكة، الدكتور: محمود، ١٤٠٠هـ، " النحو في تفسير الطبري "، مجلة كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود، ١٠، ص ٥٩ - ٧٦ .
- الدريني، الدكتور: فتحي، ثلاث مقالات بعنوان: "الإمام الطبري ومنهجه العلمي في التفسير"، ١٤٠٤ و١٤٠٥هـ، مجلة التراث العربي، الأعداد: ١٣-١٤، ١٥-١٦، ١٩ .
- الحق، حافظ إحسان، " الإمام الطبري ومنهجه في تفسير كتاب الله"، مجلة البعث الإسلامي ، ٨ ربيع الثاني ، ص ٤٥ - ٥٧ .
- الحسن، الدكتور: محمد بن علي، "القراءات القرآنية وموقف الطبري منها"، ١٤١٥هـ، مجلة منار الإسلام، ١١ ذو القعدة، ص ٦ - ١٠ .